التجديد وإشكالية التلقي في الأدب السعودي

العواد أنموذجاً

إعداد

دكتور / عبد الله حامد السعودى

كلية المعلمين – أبها

المملكة العربية السعودية

التمهيد :

يبدو أن من المسلم به أن إشكالية التلقي في تاريخنا النقدي أضحت إشارةً دالةً إلى أهمية الدأب في قراءة النص ، والعودة إليه كلما أدّى بنا التلقي المتنوع لا إلى إثراء القراءة وتنوعها ، بل إلى تصادمها ، ويبدو أن الأمر أكثر إلحاحاً حينما يتصل الأمر بالتلقي المؤدي إلى الأحكام الجاهزة التي يقع فيها بعض النقاد ، حيث تضحى الانتقائية والنظرة العجلى أدواتٍ تحيل إلى نتائجَ خاطئةٍ ، ومسلّماتٍ لا تقف أمام القراءة المتكاملة ... وليس البحث هنا ، ينطلق إلى التلقي بمعناه الفكري المؤول أو النقدي المتعمق ، بل بمعناه البسيط والمشكل أيضاً ، الذي يؤدي إلى مثل هذه الأحكام! ويتجه إلى "النمذجة" على ذلك باستحضار الدراسات والأحكام التي وسم بها الأديب السعودي "محمد حسن عواد" ، والتي تحتاج إلى غير قليل من التوقف والمراجعة ،عبر الاعتماد على النص "العوادي" الذي يجب أن يؤخذ بمجمله حين تكون الأحكام العامة لجهده وشخصه ! إذ إني أحسب أن التكاملية شرط من شروط أي محاكمة موضوعية قيمية !

وبدءا فإن معظم الدراسات الأدبية النقدية للأدب في المملكة العربية السعودية تكاد تعقد إجماعها على أن محمد حسن عواد[1]كان رائد التجديد الأول في المملكة ، من حيث نتاجه ومواجهاته ، وإصراره المستمر على مشروعه التجديدي ، معتمدين في ذلك على دعواته التجديدية التي نثرها في كتاباته ، والتي أوصلته جدتها آنذاك إلى المواجهة الحادة مع مخالفيه الذين استعدوا عليه السلطة ، والتي أمرت آنذاك بإحالته إلى التحقيق؛ لاستجلاء موضوعية هذه الشكاوى ، إذ ينقل د. عثمان الصوينع أن العواد تعرض بعد

---

[1] محمد قاسم حسن عواد ، ولد سنة ١٣٢٠هـ في جدة ، ودرس في مدرسة الفلاح ثم عيّن معلماً فيها ، كان بارزاً بين أقرانه ، وأديباً مرموقاً ، وكانت له خصومات أدبية ، تُوفي سنة ١٤٠٠هـ.ينظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً ١٣٥٠هـ - ١٤١٠هـ، القسم الثاني، ص ٣٧٥ .

إصداره لكتابه (خواطر مصرحة)" لمشكلات كثيرة ، فقد عينت الحكومة لجنة للتحقيق معه فيما ورد في كتابه هذا ، وخاصة مهاجمته للعلماء ، وفقد "العواد" بهذا الكتاب مكانته الممتازة كأستاذ مرموق في مدرسة الفلاح بجدة ، وانتقل للعمل في المدرسة الحكومية الابتدائية "[1]،ويشير الأستاذ عبد الله نور إلى أن "العواد" قد اتهم "بالماسونية" من قبل بعض الوشاة ! وهي تهمة من بعض تهم أدخلته السجن[2] ، ويعلق الباحثون على كتابه (خواطر مصرحة) تعليقات تدل على الريادة التجديدية لهذه الأراء دوماً ، إذا ما قيست بزمنها وشرطها التأريخي ! إذ يراه عبد السلام الساسي " ثورة إصلاحية على الأدب والمجتمع ، حيث قامت مقالاته على النقد الصريح ، وهدم مقاييس الأدب القديمة والتنديد بالعادات والأوضاع التي تتغلغل في الطبقات "[3] . ويقول عنه عبد الله عبد الجبار: "يعتبر العواد من المجددين الثائرين الذين حاربوا العادات التي ورثناها من الأجيال المظلمة سواء في دنيا الأعمال أو دنيا المعاني والأفكار "[4] ، ويؤكد الدكتور إبراهيم الفوزان على هذه الريادة ، ويقول عنه :"إنه يعتبر بحق زعيم مرحلة الثورة التجديدية في الأدب الحجازي، أديب جريء عرفه الأدب الحجازي في نقده وعطائه ، ثار على المنهج الاتباعي القديم في الشعر، ودعا واستعمل الشعر المرسل والحر والمنثور في الحجاز ونقد المناهج التعليمية التقليدية ، ورفض أي أثر لا يتمشى مع حاجة العصر،ودعا إلى الانفتاح على ثقافة العالم في سائر الفنون [5]

---

[1] حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، ص٥١٦ ، وانظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، القسم الأول ، ص ٣٧٥ .

[2] ينظر ، العواد رائد التجديد ، ص ١٢٥

[3] شعراء الحجاز في العصر الحديث ، ص ٣١ .

[4] التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية ، ص ١٤٩ .

[5] الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ج ٣ ص ١٣١١ .

، ويرى الدكتور عبد الله الحامد أن كتاب (خواطر مصرحة): " أجرأ كتاب صدر يحمل شرر الثورة على كثير من رسوم وتقاليد الأدب والشعر والمجتمع "[1] ، ويشير الدكتور عبد الرحيم أبو بكر إلى جهود العواد في التجديد حيث إنه قد " أعطى تيار التجديد منذ شبابه كل ما يستطيع من جهد صادق وموفق ، وكتب في ذلك مقالات وشعرا حققا له مركز الريادة "[2] . ويرى محمد العلي أن العواد "فجّر القصيدة الحديثة تفجيراً ذهنياً وقد فجرتها وجدانات بالغة الأهمية"[3] .

ويقارن شاكر النابلسي بين دور "العواد" في المملكة ، ودور قاسم أمين وسلامة موسى وخالد محمد خالد في مصر ، ويقول " فالعواد كان من أنصار تعليم المرأة وتحررها في مجتمع تقليدي محافظ ، ولعل قيمته في هذا المجال لا تقل عن قيمة قاسم أمين وسلامة موسى وخالد محمد خالد ، كما كان العواد نصيرا كبيرا لحركة الشعر العربي الحديث وداعيةله "[4] ، وينقل سحمي الهاجري عن "العواد" قوله : " أن التطور هو الانسلاخ من الماضي بما له وما عليه "[5] ، والمتتبع لهذه الأراء لابد أن يقف أمام عدة تساؤلات لا يثيرها "العواد" فقط بمواقفه الجريئة ؛ التي عرضته لمساءلة السلطة ، بعد المواجهة التي تجاوزت فيما يبدو جدلية الحوار والحجة والتنوع ، الذي لم يثر الحوار ، بقدر ما أثار التعصب واستعداء السلطة ! بل ربما كان نص "العواد" الذي نقله عنه آنفا " سحمي الهجري" والذي تجاوز الموضوعية في تصور الجديد عبر الانسلاخ من الماضي خيره وشره ! مهيعا خصبا للتأمل والمراجعة والمقارنة بين هذا النص الصادم ، ورؤية "العواد" التجديدية ! كما تأتي إشارة النابلسي لدور العواد المناصر

---

[1] الشعر الحديث في المملكة العربي السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥ ١٣٩٥) ص ١٨٣ .

[2] الشعر الحديث في الحجاز ، ص ٢٧٨ .

[3] محمد العلي شاعراً ومفكراً " مختارات " ، ص ٥٠٤ .

[4] نبت الصمت ، دراسة في الشعر السعودي المعاصر ، ص ٤٠

[5] مجلة علامات ، ملتقى قراءة النص ٤ ، ص ٧٩٣ .

لتحرر المرأة ؛ ليرسم علامات مشروعة حول هذا التشابه من خلال رؤيــة "العــواد" وثوابته ...

إن الانطلاق إلى مشروع العواد من خــلال نتاجــه الفكــري والنقــدي هــو الطريقةالأولى لمعرفة أبعاد هذه الحركة التجديدية ، التي أثــارت ولا زالــت الأســئلة والاستفهامات الموضوعية الباحثة عن مقاربة هذا النتاج المتنوع ومحاورته ، في ظــل هذه الاستنتاجات المشيدة أو الملغية إيماناً بأهمية سؤال النص ، قبل الاطمئنــان إلــى تلقيات الباحثين ، وتأويلاتهم لدوره التجديدي الريادي !

لقد كتب "العواد" نتاجه الفكري النقدي عبر مجموعة مــن الكتــب ، ويــأتي (خواطر مصرحة جزءان في ٢٨٠صفحة) في طليعتها ، إلى جانب كتبــه الأخــرى (تأملات في الأدب والحياة في١٩٥)(من وحي الحياة العامة في ١٥٣)(مؤتمر أدباء العرب في ٨٩)(محرر الرقيق في ٢٤٢)(التضامن الإسلامي في١٤٢)(الطريــق إلى موسيقى الشعر الخارجية في١٧٤)(مســائل اليــوم فــي ٥٥٢) وقــد اعتمــد في"الخواطر ، والتأملات ومن وحي الحياة العامة ومسائل اليوم"على أسلوب المقالة التي أتاحت له التنوع في عرض موضوعاته دون رابط أو تسلسل يجمعها ، غيــر رؤيتــه التجديدية التي كان يرسلها عبر مقالات متنوعة وقد يكون الأسلوب الصحفي قد فرض عليه هذا التنوع ، وهو تنوع أثرى بتنوعه واختلاف موضوعاته الكتب بنوع من الجدة والتباين الإيجابي، أما مؤتمر أدباء العرب فيدخل في أدب الرحلات ، إذ يتمحور الكتاب حول رحلته التي قام بها إلى لبنان عام ١٩٥٤م في أول لقاء يعقد للأدباء العرب مــن أجل التنسيق والتعاون ، وقد نوع في كتابه الرحلي هذا بين الطابع الوثائقي والنقــدي ، إذ كان حريصا على نقل بعض المواقف والكلمات والحوارات ، إلى جانب أنه كان يقدم رؤاه وملاحظاته الناقدة بين الفينة والأخرى في موضوعات متنوعة ...

ويدخل كتابه (محرر الرقيق) ضمن همه القومي العربي الحضاري ، حيث خصصه للحديث عن الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك بن مروان ، الذي رأى فيه شخصية ريادية تستحق الوقوف أمامها وتجلية مواقفها... وهو بحث تأريخي يستخدم الحقيقة التأريخية الموضوعية بذكاء واعتزاز؛ لإيصال رسالته القومية المعتزة بمحرر الرقيق ، الذي سبق الآخرين في هذه الخطوة الإنسانية الرائعة ، وهو يعقد المقارنة بينه وبين الأمريكي "لنكولن" ولن يغيب عن المتأمل حرص "العواد" على مخاطبة القوى الدولية المؤثرة التي جهلت هذا التأريخ المجيد ، وهي تتحدث عن محرري الرقيق المعاصرين من مواطنيها !

ويناقش كتابه : (التضامن الإسلامي) دعوة الملك فيصل رحمه الله إلى التضامن الإسلامي ، مستدلا بمجموعة من الآيات والأحاديث ، ومحللا الفرق بين التضامن المطلق والمقيد ، مستحضرا مجموعة من خطب وكلمات الملك فيصل ، وعارضا لمجموعة من الأبحاث التي كتبها مجموعة من الكتاب حول الموضوع ذاته ، ويقدم "العواد" في كتابه :(الطريق إلى موسيقى الشعر) جهدا علميا اجتهاديا ، حاول فيه أن يقدم رؤية جديدة للعروض ، من خلال اجتهاده في إيجاد جملة تستوعب التفاعيل المبعثرة ، مقترحا جملة إنسانية في معناها ، سهلة في حفظها وهي: (بجانبنا ، تاجر ، رؤوف ، متسامح مستخدم عاملات مكفوفات ، مهازيل) كما ابتدع ضمن تجديده رموزا جديدة للتفاعيل ، وراح يشرح ويحلل ويقارن في حرص وتؤدة ودقة[1] ، ويمكن أن يضاف إلى ما سبق تقديماته لدواوينه وهي مقدمات تواصل رؤية "العواد" التجديدية التي بثها في مقالاته وكتبه ...

---

[1] درس د . عبد الله الغذامي تجديد العواد وجهده الموسيقي في بحث علمي عنوانه : "أراء العواد العروضية دراسة ونقد " ينظر كتاب " العواد وهؤلاء " لمحمد الباعشن ص ١٢٢ .

ب- العواد ووعي التجديد :

ارتبطت دعوات التجديد في تراثنا العربي ، وربما في ثقافات الشعوب الأخرى بشدٍّ وجذب ! بين رغبة المجددين وجرأتهم حيناً ، ووقوف المناوئين أمام محاولاتهم ، احتراماً للقديم ، وخوفاً من مصادرته والإساءة إليه ، وتتنوع هذه المعارك حسب قانون الفعل التجديدي أو ردَّته ، بل ونوعيته ومضامينه وآلياته ، ويحضر "العـواد" علامـة مهمة من علامات التحولات التي مرَّ بها الفكر والأدب في المملكة العربية السعودية ؛ ذلك أنه مثَّل مرحلة الدعوة الصريحة المنهجية نحو التجديد ، ليس في الأدب فحسب ، بل كانت دعواته الصريحة تنطلق نحو مناحي الحياة المتنوعة التي رآها قمينة ببعـث الروح التجديدية فيها ؛ إذ كان التجديد دعوة كرّس لِها العواد جهده ووقته ، وراح ينادي بها ، ويدعو إليها وهي دعوة حملت على أن يواجه العواد تباينا في الحكم على إنجازه التجديدي عند المتلقين الذين ذهبوا يؤولون تجديده محذرين ووجلين تـارة ، ومهللـين مشيدين أخرى ! وهو ما دعا إلى أن يواجه العواد المساءلة أمام السلطة التي لم يكن لها بد من أن تلبي رغبة معارضيه ، الذين طلبوا منها مساءلته ! بيد أنها بعد ذلك دعمته ، بل وأوصلته إلى مواقع قيادية في قيادة العمل الثقافي[1] في المملكة العربية السعودية ، مما يمثل موقفا حكيما لها أمام هذه الإشكالية ، وهو في ذات الوقـت يعطـي العـواد المشروعية لمواصلة مشروعه الذي بدأه ، غير غافلين عن المساندة التي وجدها مـن قطاع واسع من النخب الثقافية والطلابية والشعبية التي وجدت في طرحه منجزا واعيا يستحق الدعم والمساندة ، وهو ما أشار إليه بعين الإكبار والإجلال بعض الباحثين منذ وقته وإلى اليوم[2] .

---

[1] رأس العواد بعد كل خصوماته نادي جدة الأدبي إلى وفاته عام ١٤٠٠هـ ، ينظر " العواد رائد التجديد " ص ٢١٧ .

[2] يمكن أن يراجع هنا ، ما جمعه الأستاذ محمد الباعشن في كتابه : "العواد وهؤلاء" ، و كتاب الأستاذ محمد علي قدس " العواد رائد التجديد " .

والقارئ لحركة العواد التجديدية سيقتنع بأن العواد ومن خلال نصوصه ، ورؤاه التي أرسلها بكل وضوح كان واعيا بحركته التأريخية ، يتحرك ضمن دائرة الممكن المفيد الذي يمنح الماضي خصوصية تجربته ، ويفتح للحاضر حقه من استلهام واقعه والتعامل معه بثقة ومرونة ووعي !

لقد كان التجديد العوادي متناغماً مع مرتكز أمته الفكري ، الذي جعله نصب عينيه وهو يدعو إلى التجديد الذي كان همه ومشروعه وأمله وعمله ، فقد أغلق العواد الباب محكماً،أمام من أراد أن يشكك ، أو يؤول أو يفسر تجديده ؛ إذ كانت دعوته تقوم على وعي عميق بالثابت والمتحرك في تراثه الحضاري المتنوع ، وكانت حركته تدور ضمن دائرة هذا الوعي، وهي دائرة واسعة ممتدة عند الموضوعيين ، متجاوزة كل ثابت عند المبهورين الذين يتبرمون ويلوون وجوههم عن كل تليد! ضيقة حرجة عند المتشددين ، الذين يحسبون كل دعوة حديثة مؤامرة مدروسة وحيلة ماكرة !

وسواء أكانت النية الرافضة حسنة خالصة للعلم والثقافة ، أم شابها مرض المؤامرة وعقدة الحديث ، وسواء أكانت الإشادات بالتجديد العوادي خالصة للرغبة في النهوض ومواصلة الارتقاء بالأمة أم كانت رغبة في التمظهر بالحداثة ، ولبس لبوس الجديد ، فقد كان العواد واعياً كل ذلك ، واثقاً من منتجه الحضاري ، معتزاً بتراثه ، قارئا عصره بكل تفاصيله وتشكلاته ...وقد كان مع كل هذا الوعي ذا رؤية خاصة ، تحلل وتنتقد ، تضيف وترفض، تستلهم الماضي وتفيد من الآني ؛ ولذا كان العواد – بكل جرأته ــ يخترق الزمن مؤصلاً ومجدداً لم تخدعه فكرة الجديد ، ولم ترهبه سطوة القديم ... ويمكن لقارئه أن يستوعب العواد وقد رسم لذاته الحضارية مجموعة من الدوائر ، التي تتسع ولا تتقاطع ! تضيق أحياناً حتى تتمحور حول الأمة الحجازية،

التي رآها أمة واحدة من أجناس شتى ، يجب أن تكون لها وحدتها القومية المطلوبة[١] ولا يعني ذلك نوعا من التقوقع أو الانطوائية الممقوتة إذ ما تفتأ هذه "الذات" تتسع حتى تضم الوطن الذي كان ينادي أبناءه إلى النهوض والتجديد[٢] في وعي تأريخي رائد و، وناظر إلى المستقبل بعين واعية مدركة للمرحلة التي سيدخلها الوطن ، في تحديه لبناء شخصيته الوطنية الجديدة ، بعد أن كان توحيد الملك عبد العزيز ــ كما رآه ــ خطوة كبيرة إلى تجديد شامل للحضارة والتمدين ، وهو ما يؤكد أن العواد كان بصيرا بالتجارب الوطنية في الوطن العربي والتحولات التي سيمرُّ بها وطنه ...

وهي " ذات " تنطلق لتشمل قومية "المنتجع الفسيح" وهي الدعوة التي ابتدع العواد لها هذا الاسم ؛ في محاولة لإيجاد وحدة عربية سياسية ، يقول : " وهدفت من هذا أن يكون الاسم المبتدع رمزاً للحلم الجميل الذي يحلم به العرب من مئات السنين ، ولم يحققوه بعد ، وهو جمع بلادهم كلها في إطار سياسي واحد ، ينظمه حكم واحد يشبه الوحدة القائمة في الولايات المتحدة الأمريكية ، أو التي في الاتحاد السوفيتي ، بصرف النظر عن الحكومة ونظامها ، ومن غير أن يسقط حق من حقوق أي قطر[٣] وصولاً إلى أممية الجامعة الإسلامية [٤] .

ولن يعوزنا أن نؤيد هذه الرؤية التجديدية الواعية بأمثلة شتى ، تبدو من أهمها وأدلها على هذه الجدة رؤيته للبلاغة ، التي هاجم من أجلها بعض التراثيين

---

[١] ينظر ، خواطر مصرحة ، ص٤٨ وص٤٩ .

[٢] ينظر ، مسائل اليوم ص ٧٤١ .

[٣] دعا العواد إلى إقامة وحدة عربية بين أقطار الوطن العربي ، وابتدع لها مسمى " المنتجع الفسيح " وهو اسم يضم أوائل أسماء مجموعة كبيرة من البلدان العربية ، ينظر ص٢٣١ .

[٤] اتسمت دعوته للوحدة الإسلامية بالتركيز على الرابطة الإسلامية ، أما الوحدة الإسلامية السياسية ، وما فكرفيه جمال الأفغاني ، فقد رأى ذلك أمراً بعيد المنال في وقته . ينظر للمزيد ، تأملات في الأدب والحياة ، ص٣٤٧ .

والمعاصرين ، من الأشياخ والأدباء والشعراء ، الذين لم يجدها عندهم ، بيد أنه وجدها كما يقول : رعداً يقصف من نبرات القرآن ، وقد وقف خاشعاً أمام معبدها[١] ، وهو يرى كذلك أن الأسلوب القرآني هو الذي يسد حاجتنا ويضمن لنا المشي مع سنة النمو والارتقاء[٢] ، ولا غرابة فهو الذي يقول إنه رأى في هذا الأسلوب: " إشعاعاً رائعاً ، يملأ النفس طمأنينة وإيماناً ، ويملأ العقل حكمة ويساير هذه القافلة الماشية في حياة الناس من حضارة وعلم حديث وفلسفة اجتماعية ، وتحليل عقلي فأهتف من أعماق سريرتي : هذا هو الدليل الساطع على أنه نزل بالحق في هذه الحياة من الحق الأعظم الذي خلق الحياة ، وأنه باق إلى الأبد "[٣] . ولا عجب أن يجيب بعد ذلك على سؤال "محمد سرور الصبان" المتضمن رأيه في الالتزام بالفصحى أو العامية بقوله : إن " أولى أسلوب يقوم بحاجتنا وأصلح طريقة هي الطريقة القرآنية "[٤] .

إن العواد الذي أشاد بأسلوب مسيحيي لبنان ، ومترجمات "فولتير وموليير وشكسبير ومايرون وجوته"[٥] ، هو ذاته الذي رأى البلاغة القرآنية بهذا الجمال والروعة ، وهي إشارة إلى تقبل وسعة وتعدد ، ليس من حيث قيمة هذه الأساليب ، بل من حيث تنوعها . وإذا كان العواد قد رأى سمو البلاغة يفيض نوراً وناراً من تلك الأدمغة المطربشة والمبرنطة والحاسرة[٦] ، فقد كان هو الذي يرى أن بينات القرآن الكريم ، تحمل مضامين نشر دعوة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ ؛ ليفتح " الأعين

---

[١] ينظر : خواطر مصرحة ، ص٤٢ .

[٢] ينظر السابق ، ص٧٢ .

[٣] المرجع السابق ، ص٢٧٨ .

[٤] المعرض ، أو أراء شباب الحجاز في اللغة العربية ، ص٣٥ .

[٥] ينظر خواطر مصرحة ، ص٤٢ .

[٦] السابق ، ص٤٣ .

العمى ، ويسمع الآذان "[1] ، وبالتالي فهي آيات بينات ناصعة ، ليس في بلاغة تعبيرها فقط ، ولكنها بينات ناصعة ــ كما يقول ــ : " في عالم السير الحيوي قبل ذاك وبعده"[2] .

لقد ارتضى العواد أن يؤاخي في تجديده بين التراث والمعاصرة ، بين الأسماء المختلفة ، والاتجاهات المتباينة . أو ليس لافتاً ودالاً أنه مع ثنائه على أدباء لبنان المسيحيين ، وعلى أعمال الغربيين المترجمة كان يشير ويشيد "بابن تيمية وابن القيم وابن حزم ومحمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب"[3] ، ويدعو علماء عصره إلى قراءتهم . هذا المنهج الواعي التجديدي هو الذي أعلنه العواد ودعا إليه ، حيث كان يعمل فكره فيما يقدم إليه ، وكان ذا قدرة خاصة على التفريق بين أصحاب الاتجاه الواحد منذ سني دراسته الأولى إذ ينقل عنه أبو بكر صديق محمد اعتراضه على ما كان يدرسه في مدرسة الفلاح الدينية ، والتي كانت تدرس الدين بطريقة بها شيء من الخرافات ، وينقل عن العواد قوله : " فكنت أنا وزملائي الطلبة نرتاد مكتبة الشيخ نصيف للقراءة ، ومن ضمن ما كنا نقرؤه كتب الدين ، وكتب الإصلاح الديني وخاصة كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، فتأثرنا تأثراً كبيراً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ووجدنا الفرق بينهما ، وبين ما يُدرس في المدرسة من آراء وعقائد وتعاليم دينية فرقاً شاسعاً "[4] .

ويبدو أن توجه العواد نحو كتب الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" كان استجابة لرؤيته الثاقبة لكل تراث صنعه جهد بشري ، يمكن قبوله ورفضه ، وأهمية التواصل

---

[1] التضامن الإسلامي ، ص٣٣٨ .

[2] تأملات في الأدب والحياة ، ص٣٤ ، ص ٣٤٠ .

[3] ينظر ، خواطر مصرحة ، ص٤٠ ، ص٤٠ .

[4] العواد وهؤلاء ، ص٣١١ – ٣١٢ .

مع الأصل العقدي الذي كان مصدراً لكل اجتهاد بشري ، على اختلاف وتنوع هذه القراءات ، ولذا كان العواد يرى أن الاعتماد على هذه الأصول الثرة الغنية ، الصالحة لكل زمان ومكان ، هي الطريقة الأولى ، وهي الطريقة التي سار عليها الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" رحمه الله . لقد كانت نظرته التراثية تميز بين الأصل الذي لا يمكن الاجتهاد إلا ضمن دائرته ، وبين القراءات الأخرى ، ولذا يفرق العواد بين التراث الديني والفني، حين يهاجم المتعصبين للقديم الذين لا يؤمنون بالتطور والارتقاء ، والذين تنظر نفسياتهم كما يقول : " إلى التراث الفني نظرة وثنية لا تقبل المناقشة والتفكير والحوار على أساس المنطق السليم ، مساواة له بالتراث الديني ، وفي ذلك خطر لا على حياة الفنون وحدها ولكن حتى على حياة ذلك التراث الفني القديم "[1] .

لقد كانت هذه النظرة الواعية للتراث التي تقوم على المناقشة والحوار والتفكير، هي التي دعته إلى تأليف كتابه " محرر الرقيق " وذلك كما يرى " مساهمة في بعث مجد الأمة العربية "[2] ؛ إذ رأى في شخصية عبد الملك بن مروان الشخصية الإنسانية العادلة ، التي تصلح لأن تساوي به الأمة العربية في مجال العظمة الاجتماعية والنفسية أرقى أمة سبقت في هذا المجال[3] .

وإذا كان العواد قد شن هجومه على وثنيي القديم ، فإن دعاة التجديد من متسرعي الشهرة لم يسلموا من نقده وتحذيره أيضاً ، فمع ريادته المحلية للجديد ، فقد حذر " من فيضانه الذي جعل كثيراً من المحترفين أو من متسرعي الشهرة أو المعجبين من غير أهله يستسهلون اقتحامه ، بنماذج مشابهة له في الشكل العام ، ولكنها جوفاء ،

---

[1] الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية ، ص٥٧٢ .

[2] محرر الرقيق ، ص١٠٠ .

[3] ينظر ، السابق ، الإهداء .

ليس فيها روح الشعر ولا طبيعتــه "[1] ، وهي قراءة استباقية لما آل إليه حال التجديد عند بعض كاتبيه ، ورؤية قارئة للإشكالات التي قد يحدثها الجديد ، وتحسـب ضـمن إخفاقات دعاته .

هذه الرؤية الواعية للقديم ، والحديث ، هي الرؤية الموضوعية الوسط التي أعلنهـا العواد صراحة بقوله : " يجب أن نكون نحن – ناشئة البلاد – متحررين في ألسـنتنا ، في أقلامنا ، في تفكيرنا ، ودفاعنا ولكن لا نتفـرنج ولا نشـط ، ولا نـزدري بكـل قـديم "[2] . بل إنه يرى أن مبادئ الإسلام ثورة بـالمعنى الحقيقـي ضـد العبوديـة والتخاذل والتفكك والانحلال والظلم والاستبداد والاسـتغلال ، والاحتكـار وضـد الفوضى ، والشيوعية والإباحية والتحلل والانسلاخ من القيم وضد الأنانيـة والأثـرة واستعباد الآخرين من البشر ، باسم الحرية الزائفة[3] . كما حذر المسـلمين المقلـدين الذين راحوا يصيحون في جهل ! قائلين : " دعوا الدين للديان ، وخذوا في حياتكم بما أخذت به الأمم الناهضة من نمط علماني لا يستند إلى هذه التقاليد التي انقضى زمانهـا وانطوت مع الأيام "[4] .

ومن هنا فقد كان تلقي الظاهرة العوادية ، تلقياً عانى مـن الانتقائيـة الحـادة لنصوصه والتي تعزلها عن مجمل فكره ، وتهدم ترابطها الموضوعي ؛ حيث تـؤدي هذه الانتقائية إلى أحكام عمومية ، أو تتجاوز حتى تحمّلها ما لا تحتمل ؛ نتيجة عـدم قراءة الظاهرة التجديدية قراءة واعية ، وهي قراءة لا تختلـف فـي تأويلهـا لـبعض النصوص المبتسرة عن القراءة التي تحيل الظاهرة إلـى جريمـة تسـتحق المسـاءلة

---

[1] الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية ، ص٤٩٢ .

[2] خواطر مصرحة ، ص١١٥ .

[3] ينظر التضامن الإسلامي ، ص٣٧٢ .

[4] التضامن الإسلامي ، ص٤١٩ .

والمحاكمة بتهمة التجاوز ، وهدم القديم ، ومهاجمة العلماء . لقد كان كل فريق ينتصر ربما لذاته وفكره ورؤيته عبر محاكمة العواد ، والانتصار به أو عليه ، دون قراءة الظاهر قراءة واعية ، فلم يكن العواد يرى الجديد عبر رفض الماضي بما له وما عليه! وهو النص الذي نقله عنه " سحمي الهاجري " بيد أني لم أجد هذا النص حتى في الطبعة ذاتها التي عاد إليها الهاجري ! ولعل من المهم أن أشير إلى أن الهاجري قد أشار- في مقال صحفي عقب نشره موضوعه الذي عرض فيه هذا النص _ إلى أن الموضوع الأول في كتاب "خواطر مصرحة " قد حذف في كثير من النسخ[1] ! ومع ذلك فإني أستطيع أن أؤكد أن النص بصيغة التي قدمها الهاجري لا تستقيم رؤيته ورؤى العواد الواعية للقديم والحديث ، وأحسب أن في النصوص السابقة ما يشير إلى ما يشبه الجزم باستحالة نسبته للعواد !

إن التلقي الذي تلوّن برغبات ورؤى المتلقين هو الذي أحال العواد إلى هذه الاستنتاجات الغريبة ، والمواقف العنيفة ، غير متناسين أن العواد ذاته قد أسهم في صناعة هذه المواقف عبر تضخم ذاته ، الذي سيظهر وضوحه في الصفحات القادمة .

إنني أجزم أن العواد في مقولاته تلك ، كان يعي جيداً إشكالية القديم والحديث ، وما يدخل إلى هذه الدائرة من النماذج الرديئة التي تتبنى أحد الطريقين ، فأراد أن يحيد بأعماله ورؤاه عن متطرفي الاتجاهين سواء أولئك الذين يتراجعون إلى الوراء دائماً ، أو أولئك المنجرفين الذين يهرولون على غير وعي ، سوى الرغبة في الشهرة ، وجلب الأضواء .

---

[1] ملحق الأربعاء ، جريدة المدينة ، ٢٥-١١-١٤٢٨هـ ، ٥-١١-٢٠٠٧م ص ٧ مقال : " الشهرة حجاب ".

لقد كانت حركية العواد تنطلق ضمن دائرة الثابت والمتحرك ، وهي حركة واعية تتحرك إلى الوراء وإلى الأمام في اللحظة ذاتها ! حركة حرة واثقة ، تنطلق من وعي بالتاريخ ، وقراءة للحاضر ، واستشراف للمستقبل .

ج- العواد نافياً للآخر :

تحتاج الدعوات التجديدية دوماً ، إلى قدرة خاصة على الإقناع تكافيء إشكالات الجديد ، وتوطن ذاتها على استقبال المختلف والمحذر والمعنف ، ومحاولة إقناعه والتأثير فيه وسماع اعتراضه ، ومواجهة رفضه بوعي علمي ، واستعداد لمحاورة اجتهاده واختلافه ؛ إيماناً بحقِّه في عرض رأيه ومناقشته ، وصولاً إلى الحقيقة التي يتبناها عن وعي وإيمانٍ .

ولئن كانت الذهنية العوادية الرائعة التي واءمت بين القديم والحديث ، ومزجت في وعي نظري ، كل مفيد وجديد من أي جهة ، أو زمن أطل ، إلا أنها لم تستطع أحياناً ، أن تقف موقفاً موضوعياً من الأصوات المختلفة معها ، سواء في نظرتها للقديم أو الحديث حيث كان نجاحها النظري ، بحاجة إلى ممارسة عملية مع المختلف ، إذ تبدو التعددية والتنوع التي آمن بها العواد ، تعود فتنظر إلى ذاتها نظرة مثالية لا يمكن إلا تكون نظرة شاعرية مثالية ،تتصور ذاتها ، ذلك الطائر الغريد الذي إذا قال شعراً أصبح الدهر منشداً، وراح القوم يسهرون ويختصمون بعد أن رآه الأعمى ، وسمعه الأصم ! وهي ذات تعتد وتسمو حتى تصل إلى إلغاء ومهاجمة كل قول لا يتفق ورؤاها!

لقد كان حضور "الذات" العوادية ، نافياً للآخر في أكثر الأحيان ، رغم أن العواد كان قادراً لو شاء ! على أن يتسق مع منهجه المتعدد المؤمن بالحرية والديمقراطية والاجتهاد لكنه ، اتجه إلى لغة حادة مهاجمة نافية لكل ميزة لدى "الآخر" ، حيث يضحي هذا الخطاب الحاد الصارم ملغياً لكل مختلف معه ، فعلماء الحجاز إلا القليل

منهم: " بلداء الأفكار سخفاء العقول قاصرون في الأفهام "[1] ، وخطب الجمعة تحمل قبحاً في تراكيبها ، وسماجة في معانيها المتكررة ، ولذا فهو يرجو أن يسمع خطيباً مصقعاً يضع الدواء موضع الداء[2] ، تبدو بلاغته بعيدة عن بلاغة الرؤوس التي أفسدها ثقل العمائم وطول اللحى[3] .

ويجاوز هذا الأسلوب الحاد العلماء وخطباء الجمعة إلى بعض الشعراء أو المتشاعرين الذي يرى شعرهم صديداً فكرياً[4] ، وإلى بعض النقاد داخل المملكة الذين يرى نقدهم تهريجاً ضعيفاً معوجاً ![5] ، وإلى بعض النقاد العرب الذين رأى نقدهم سرقة وتكراراً وتملقاً للأثرياء السعوديين[6] ، وهو يدافع ويهاجم ، ويتداخل مع التفاصيل رادا غاضبا فهو مثلاً ، يرجح أن يكون ولع أحد النقاد بالغنائية في الشعر؛ رغبة منه في أن يكون الشعر المراد من النوع الذي يغنى في الكباريهات ، أو يسجل ليوزع في أسواق اللهو الملتوي[7] ، ويرى بعض الأدباء يستقون من كتب مكررة غثة[8] ، ويجترونها كما تجتر السائمة ، فهم قطيع ، وليس هذا القطيع كتاباً أو مفكرين[9] ، ويصف إحدى القصص بأنها : " لا روح فيها ولا ذوق ولا خيال ... لأنها خالية من كل مقومات الفن الروائي الجيد ... على ما فيها من ثقل الوطأة ، وضعف

---

(1) خواطر مصرحة ، ص٣٩ .
(2) ينظر السابق ، ص١١٥ .
(3) ينظر السابق ، ص٤٣ .
(4) ينظر السابق ، ص٤٦ .
(5) ينظر السابق ، ص٢١٠ .
(6) ينظر السابق، ص٢١٣ .
(7) ينظر السابق ، ص٢٢٨ .
(8) ينظر تأملات في الأدب والحياة ، ص٣٣٠ .
(9) ينظر السابق ، ص٣٣١ .

الفكرة ، وتفاهة الموضوع ، وفقدان الاستقصاء وبتر الفكرة ، وحشو اللفظ ، إلى جانب الغثاثة والإسفاف ، وصاحبها مسف ليس من ذوي الملكات القديرة الذين زجوا بأنفسهم في صف الكاتبين ، الذين رأى منهم الناس ، أوحالاً من أقذار الذهن الكليل ، ليس من كرامة النفس ، وليس من كرامة الفكر أن يجاب عنها "[1] ، ويضحي القاص المرزوء تحت قمع العواد هنا طفلاً كبيراً ورجلاً شاذاً ، وتغدو قصته جحوية فارغة ، بل ومهزلة فاضحة وغباء مغلظاً ، وعماية صماء ، وطفولة في بسائط العلم[2] ، وهي إلى ذلك سخيفة في موضوعها ، ضعيفة في أسلوبها ، خاطئة في تفكيرها فاسدة في فنها ؛ لأنها تمثل أدب الصبيان والشباب الذين لم يبلغوا مبلغ الثقافة والتمييز ، أولئك الضعاف المرزوئين في عقليتهم حشرات الأدب السخفاء[3] .

ويحمل العواد أسلوبه هذا وهو يتجاوز النقد الفني إلى النقد العلمي ، حيث تجد هذه الروح الملغية الحادة الحاسمة أيضاً ! فهو يرى في كتب بعض المؤلفين المعاصرين له عجرفة وغروراً ! ودعوى تساق دون وقار ولا حيطة ؛ لتنم عن فشل غير محمود ، وخلو من الصبر والأناة ، وضعفاً وفساداً وعقم صناعة ورطانة بوهم ![4] ، وينطلق إلى نقد بعض المقالات التي تناقش بعض كتاباته ، فيراها مقالات لا تصلح للرد ؛ لاغترار أصحابها بغيرهم من الكتاب ، فهي حلقة تقود إلى نزع الثقة[5] ، ثم يراها تارة أخرى تخبطاً صبيانياً ، وافتراءً طفولياً مكشوفاً ، وهي سخافات يلهى بها ، ثم ترمى كما ترمى حثالة ما لا تصلح لطعام أو شراب[6] . ويرى في محاضرة

---

[1] ينظر السابق ، ص ٣٦٨ إلى ٣٧٢ .

[2] ينظر السابق ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

[3] ينظر السابق ، من ص ٤٢٤ إلى ص٤٢٧ .

[4] ينظر السابق ، من ص ٤٢٤ إلى ص ٤٢٧ .

[5] ينظر ، من وحي الحياة العامة ، ص٤٨٧ إلى ص٤٩٠ .

[6] ينظر ، محرر الرقيق ، ص٣١٢ ــ ٣١٤ .

أحد أساتذة الفلسفة في لبنان أخطاء لغوية ، يقول عنها : " كانت غارقة في أوحال قذرة من الألفاظ العربية المغلوطة "[1] . وينتقد الكلمات التي سجلها أحد مرافقيه في متحف أمين الريحاني ويقول : " لو عرف مشيّدو متحف الريحاني أن قلمه الجبار سيهان في هذا المتحف هكذا لعدلوا عن إقامته "[2] .

ويصل الأمر أحياناً ، بهذا الأسلوب الحاد والملغي ، إلى أن يقع ضمن دائرة تصنيفية طبقية ضيقة ، لا تتفق ورؤية العواد الإصلاحية التجديدية الواعية ، فهو يصف بلغة مهاجمة الأديب عبد القدوس الأنصاري بأنه "شنقيطي" ويقول : " فقد قيل لنا إنه ليس من هذه العائلة الكريمة من أهل المدينة المنورة "[3] ، وهو الأمر الذي اشتكى منه الكبير الراحل محمد حسين زيدان حيث يقول في شهادته الرائعة بحق العواد :" ١أكتب ذلك تسجيلاً لتاريخ العواد مع أنه يرحمه الله كان أول الأمر شديد الجفوة عليّ ساخطاً إذا ذكرت عنده قال " اتركوه هذا شنقيطي " ، ولكن ولله الحمد لا أبخس الناس أشياءهم، ليكن العواد الإنسان خصيماً أما العواد الشاعر الطليعة فما كنت له إلا المعجب المحترم "[4] .

وهي رؤية تصنيفية عوادية لا تتفق كذلك مع رؤاه النظرية حول الوطن والوحدة القومية والإسلامية بل والبشرية التي يقول إنها " أمانة مودعة لا في عنق كل إنسان ولكن في دمه "[5] . هذه الرؤية الحضارية التنظيرية هي التي يواجهها العواد أحياناً ، حين يحذر شباب المدينة من بعض الأدباء السود المسخرين ، الذين عليهم أن يتطهروا في " نهر الوطنية العربية الحجازية التي ما زال يكيد لها هؤلاء السود

---

[1] مؤتمر أدباء العرب ، ص٤٨ .

[2] السابق ، ص٤١ .

[3] تأملات في الأدب والحياة ، ص٣٧٢ .

[4] العواد وهؤلاء ، ص٣١ ــ ٣٢ .

[5] مسائل اليوم ، ص٢٥ .

المسخرون "[1] ، وهو يشير إلى مقولة الشاب السوداني عن الحجاز بأنه أمة مهملة ، ثم يقول : " نعم أسود البشرة ، سوداني الجنس ، من القارة السوداء من القارة المظلمة/ من أفريقيا ، من بلاد التوحش ، من السودان ، ولكنه مطربش ، يرتدي حلة أفرنكية ريد نكوت وهنا السر ، الشاب كما ذكرت آنفاً ، ولكنه مترب وكفى ، إنه من الأمة التي رباها ومدنها الإنكليز "[2] ، ولن نقف أمام تربية الإنجليز للسودان ، فهو استعمارتجرعته كثير من الدول ، لكننا نتأمل هذه الرؤية الضيقة العوادية التي يستغرب أن تصدر عن قامة ألغت نظرياً هذه الفروقات الظالمة الضيقة ، التي تصل بالعواد إلى حرمان بعض الأجناس من كل إبداع حين يقول :

" لهذا فلا ترج من الزنجي والبربري وساكن الأسكيمو وما إلى هؤلاء من الهمجيين والمتوحشين أن يكون مفكراً أو أديباً راقياً ، لأنه منحط في نفسه ، ومرجع هذا الانحطاط إلى تأخر محيطه ، وتربيته وأحوال معيشته ، وصغر آماله ، ونضوب أمانيه ، وانحلال أخلاقه ، وانحداره إلى همج متغور في همجية النفس والعقل لا يسمح له بالصعود إلى المكان المشرف على رياض الحياة ، فهو لا يعتد بنفسه ولا يشعر بكرامته العامة العليا "[3] . وهي رؤية حادة حاسمة لا يمكن قبولها ، أو الاطمئنان إلى تحليلها .

وربما كان العصر الجاهلي قريباً من هذه الحياة القاسية ، ومع ذاك فقد أنجب لنا هذا الإبداع الذي ما نزال نقرأه ونعتز به ونردده إلى اليوم ، ولم يك لقسوة الحياة ومرارتها علاقة بوجود الإبداع بل ربما صنع الواقع بمرارته أدباً خالداً، يأخذ سر خلوده من صدقه في رصد واقعه،وبراعته الفنية في تقديم هذا الواقع .

---

[1] تأملات في الأدب والحياة ص٣٨٢ .

[2] خواطر مصرحة ، ص٤٨ .

[3] تأملات في الأدب والحياة ، ص٤٤٨ .

إن السؤال المشروع هنا ، يتركز حول البعدين النظري والتطبيقي، الذي أوجدته بعض كتابات العواد ، فهو منظر بارع ، ولكنه يهبط أحياناً بفعل الحماس والجدال إلى أسلوب ينقض ويتعارض مع رؤاه التراثية والتجديدية على حد سواء تلك الرؤى التي احتفلت "بمحرر الرقيق" ، وبعالمية الإسلام ، وبإنسانية الإنسان ، وحقه في الحرية والكرامة ، وإبداعه الذي جاوز وسيجاوز كل حد ، ثم عادت تارة أخرى ؛ لتقع في هذه النظرات العنصرية الضيقة ، حين تصبح القومية العربية نهراً للتطهر ، وتضحي البدلة الإنجليزية ومستلزماتها علامة منعلامات التربية والتحضر ! في مواجهة العمامة ، وسواد البشرة ، وشنقطة الجنسية ، وهي رؤى ضيقة ، لا يمكن أن تتسق مع خطاب العواد التراثي والتجديدي على حد سواء ٠

د- العواد وحضور "الذات" :

يمكن أن يكون نفي "الآخر" بهذه القوة والإلغاء في الحالة العوادية سبباً مباشراً لحضور "الذات" بقوة واعتداد وتجاوز أودى إلى هذه الروح النافرة من المتنوع ، الهاجية بقسوة للمختلف معها ؛ فقد تداخل "الذاتي مع الموضوعي" لدى العواد ، فأثَّر في سلامة بعض أحكامه ، ولربما كان لنا – ونحن نستحضر هذه السمة العوادية – أن نضيف إلى حجاب القدماء في مقولتهم الرائعة : " إن المعاصِرة حجاب " حجباً أخرى حيث تغدو المواطنة وملاحقة الريادة ، وندية المواجهة ، حجبا أكثر سمكاً ؛ إذ تصنع نسقية مخيفة تحد من النظرة الموضوعية العلمية المنصفة أحياناً ٠ وأيا كان السبب فقد ظهر أن الاحتفاء بالذات العوادية احتفاءٌ مبالغٌ فيه ، ولم يكن العواد ليخفي ذلك ؛ فقد كان واضحاً مباشراً وهو يتحدث عنه بكلّ حمولات الإعجاب بالنفس ، والتغني بالمنجز ، ورصد الأدلة والحيثيات على ذلك ٠

لقد كان "زامر الحي" مطرباً غاية الإطراب أمام ذاته ! التي راح العواد يشيد بها ويرز إنجازاتها بصورة مبالغ فيها ! متناسياً أن الإعجاب والثناء والإشادة تكون أكثر موضوعية وتميزاً حين يحكم بها الآخرون من الدارسين الموضوعيين ! وكم كان حرياً بالعواد – مهما كانت مسببات ثنائه وحيثيات احتفاله بنفسه – أن ينأى بذاته ومنجزه عن أن يدخل في هذا الأسلوب الذاتي ، وبخاصة أن منجزه المتميز لم يكن بحاجة إلى كل هذا ، فقد كان الآخرون هم الأقدر على الدراسة والحكم ، ومن ثَمَّ الإعجاب والثناء . لقد كان التمحور حول "الذات" العوادية ، ملغياً بعد ذلك الأصوات المعاصرة الأخرى ، التي كان لها حقها الذي ارتضاه العواد نظرياً ، وحجبه عملياً في بعض الأحيان ، وربما لم يكن العواد مقنعاً وهو يعيد هذا الأسلوب إلى أن " الأديب المجدد في ذلك العهد لا يتمكن من تبليغ رسالته إلا بأسلوب صارخ يخترق الحجب الكثيفة التي ضربها الرجعيون والمكابرون والاتباعيون على أذهان الناشئة والمتعلمين ، فلو كنا ذوي هوادة في الأسلوب لما قام هذا الأدب الذي تراه اليوم "[1] ، أو إعادته إلى طبيعته العوادية التي يراها العواد أقرب إلى الهدم من البناء ، اعتقاداً بضرورة الهدم للبناء[2] ، أو كان ناتجاً عن الرجولة التي يقول عنها : " ليس برجل من لا يحمل في دماغه فكرة الجبروت وفي لسانه صاعقة الصراحة "[3] .

إنني أعتقد أن "المعاصرة والمواطنة وهاجس الريادة والندية أو المجايلة" ربما تكون مجتمعة خلف هذا الأسلوب ، فالعواد مثلاً ينظر إلى عمل أحمد السباعي "فكرة" الذي يعد متفقاً مع نهج العواد الإصلاحي ، ويتوقف عن الثناء عليه ، ويدعو النقاد لقول

---

[1] خواطر مصرحة ، ص١٤٢.

[2] ينظر من وحي الحياة العامة ، ص٦٢٦ .

[3] خواطر مصرحة ، ص١١٥ .

كلمتهم فيه ؛ ليأخذ حقه من الترحيب أو الإلغاء[١] . وهو يجاوز أحياناً ، هذا الأسلوب القاسي والاختلاف ومهاجمة المختلف إلى محاورته والثناء عليه ، وبخاصة حين يكون رمزاً خارج الوطن إذ يختلف مثلاً مع العقاد فيقول : " ونحن مع احترامنا لرأي المفكر الفنان "[٢] ، وينقل عن سلامة موسى فيقول : " ذكر الكاتب المفكر المعروف الأستاذ سلامة موسى[٣] ، وهو يرى أن ولي الدين يكن ، والمنفلوطي وأمين الريحاني ، والعقاد والآنسة مي وهيكل والمازني وجبران ونعيمة وعريضة وأبي ماضي من الكرام الكاتبين والكتبة الأحرار "[٤] . ويرى أمين الريحاني " الرائد اللامع الجريء الجبار ، ويصف مارون عبود بالكاتب الكبير "[٥] ، ويصف د/ أحمد زكي أبو شادي بأنه " مجدد أدبي عملاق ، ذو خلق متين ، وفكر ابتداعي خلاق في مجالات الأدب "[٦] .

لقد كان العواد قادراً ولا شك على إيصال نقده الصادق والجريء والمباشر بأسلوب مختلف ، يركز على الفكرة لا على الشخص، وكان قادراً بثقافته الكبيرة ، ورؤاه النظرية على ترجمة كل ذلك في أسلوب آخر مع هؤلاء ، بيد أن الذاتي كان له دوره الفاعل في غياب النهج الموضوعي أحياناً ، فقد كان "الذاتي" المتمثل فيما يبدو في حجب "المواطنة والريادة وندية المواجهة" تعمل عملها مع العواد، وكانت ذاته على مستواها الشخصي تشعر بكثير من علامات الإعجاب والافتتان بعملها ، ولن تكون الأمثلة بعيدة لو رجعنا نطلبها ، بدءاً من ضمير الجمع الذي لون كتاباته ، حتى أحالها أحياناً إلى غنائية في تمجيد "الذات" ، وذكر محاسنها فهو يرى كتابه خواطر مصرحة "

---

[١] ينظر ، من وحي الحياة العامة ، ص ٤٩٩ .

[٢] من وحي الحياة العامة ص٥١٤ .

[٣] السابق ، ص٥٨٢ .

[٤] ينظر خواطر مصرحة ، ص٧٤ .

[٥] مسائل اليوم ، ص ١ ، ٢ .

[٦] مسائل اليوم ، ص٤٩١ .

ليس لتطوير الكتابة وحده ، فهذا بعض من جوانب الأساس ، ولكن هو الخلق، .. الإبداع .. إبداع الواقع وخلق المستقبل " ، وهو كذلك طرف من الفلسفة ، وقبس من التاريخ ومزيج من السياسة والعمران والاجتماع ، ولمحات من العواطف وتيار من التفكير ، وهو ثورة تبشر بحياة جديدة "[1] ، ويؤكد على حيوية كلمة " هلام " وهو يحاور من قال بموتها ، ويقول : " فـ " هلام " كلمة حية قبل أن نستعملها ، وقد زادت حيويتها عندما استعملناها لأنها تتمتع بقوة الحياة ، وهذا ليس بغرور ولكنه تحديث بنعمة الله " ، ثم يقول : " وقد استعملتها في قصيدتي " دافق النور " عدة مرات حسب حاجة التعبير، فنفثت فيها كل مرة من الحياة والتأثير ما لا تستطيعه مجموعة كبيرة من الاتباعيين"[2] ، وهو حوار يتلون دوماً بنحن وكنا وجوابنا وكلامنا وإلينا وننوي "[3] .

ولن تعدم هنا (أفعل التفضيل) التي جاءت بتأثير النسق القديم الذي ربما حاربه العواد ، حين كان النقد يجسد أكرم وأمدح وأفخر بيت ، فهو يقول عن نفسه : " إننا أعرق دعاة التعميم والاشتراك والديمقراطية في الأدب – إلى أن يقول – وقد أعجب الجميع بهذا الموقف الديموقراطي الحر المشارك "[4] . وهو ينصح بقراءة كتبه على نحو مباشر ليعرف القارئ كيف كان الأدب رجعياً في هذه البلاد يقول : " ونحن ننصحه أن يقرأ كتبنا " خواطر مصرحة " و" تأملات في الأدب والحياة " و " ومن وحي الحياة العامة " و " الساحر العظيم " أو " يد الفن تحطم الأصنام " ليدرس الأدب وتطوره ومعاركه ، ومدى حريته ، وقوته على حرب الرجعية والانتكاس "[5] ، وهو يقول عن عمله في كتابه " محرر الرقيق " بصيغة الجمع " وقد أوجزنا الحديث إيجازا

---

[1] ينظر ، خواطر مصرحة ، ص٩ – ١١ .

[2] خواطر مصرحة ، ص ١٤٠.

[3] ينظر السابق ، ص ١٣٩ ــ ١٤٣ .

[4] خواطر مصرحة ، ص١٤٨ .

[5] ينظر السابق ، ص١٤٨ إلى ١٥١ .

علميا فيه من الشمول ما يحقق جلاء الصفات والحوارات في أبعد مراميها ، وأعمق دلالاتها ، بلفظ مفعم بأفكار وخواطر لا تعرف الاقتصار ، وفيه من الدقة ما يزن الكبير والصغير "[1] .

ويحيل إلى ضغط الأدباء في داخل البلاد وخارجها الذين أصروا على طباعة ديوانه الأول وبينهم كما يقول : " كثير من أصحاب الصحف وأصحاب المراكز في الدولة والأمة "[2] ، ثم يقول بعد ذلك عن هذا الديوان: " أحسست أن القراء يلتهمون كل ما ضم بين دفتيه من شعر الصبا بشغف قد يكون أكثر من شغفهم بقراءة شعر الشباب الناضج والكهولة المتأملة "[3] ، وهو كذلك يدعو قراء الشعر الحي إلى : " أن لا يتعبوا أنفسهم في البحث عنه لأن ما فيه من عناصر القوة والجمال ليست بحاجة إلى بحث"[4] .

وتنتقل "الذات" العوادية إلى استحضار الثناء عليها ، عبر مقولات واستشهادات تجلي هذه الغنائية المفرطة ! التي تنقل حينا الحدث العابر وتستثمره للتغني ، يقول عن الدعوة التي تلقاها من جمعية " رابطة الأدب الحديث " للانضمام إليها : " ولقد دعتني هذه الجمعية إلى الانضمام في عضويتها لتكسب أنصاراً أقوياء في الحجاز ولبنان وسوريا عن طريق اشتراكي كما يقول عضو فيها ، ولتثبيت وعيها الفني والفكري باجتذابي إليها ،

---

[1] محرر الرقيق ، ص ٣٢٤ .

[2] ديوان أماس وأطلاس ص ١٦ .

[3] ديوان نحو كيان جديد ، ص٣ .

[4] السابق ، ص ٦.

على غرار ما فعلت جماعة " أهل القلم " في لبنان ، كما يقول مندوبان أو ثلاثة من تلك الرابطة "[١] .

ويشير إلى رأي د/ محمد عبد المنعم خفاجي الذي شهد للعواد بالابتداعية والزعامة وقيادة الفكر والأصالة والتحرر . ثم يقول تارة أخرى إن خفاجي قد نقد قصيدته " الساحر العظيم " ويقول عن الدكتور خفاجي : " فيجد من الحديث عن هذه القصيدة فرصة لإطراء شاعريتنا والتنويه عن تجديدنا ، ومذهبنا في التجديد "[٢] ، وهو يرى أن اقتراح " المنتجع الفسيح " خيال ، ولكنه يقول : " ولكننا نحب أن نذكر الأمة العربية أن كل عمل عظيم كان خيالاً عظيماً فعاد واقعاً عظيماً "[٣] ، هذه العظمة وهذا الخيال الخصب هو الذي أوحى إليه أن يكون ضمناً ، ضمن الشخصيات التي تخيل أنها ستوضع لها التماثيل الماسية والياقوتية بعد ٥٠٠ سنة في الحجاز ، وذلك على لسان مسعد في قصة العواد الخيالية ، " وهم العباقرة الذين – كما ذكرهم سعد – كانوا يتخيلون حياتنا كما هي اليوم ، وكانوا يبشرون بها من خمسمائة سنة "[٤] . هذا الخيال وهذه الغنائية تدعوه أيضاً ، إلى أن يتخيل الإعجاب من المتلقين مباشرة ، فهو يناقش أحد اللبنانيين منكراً عليه مناداة الدكتور محمد حسين هيكل بالباشا ، وبعد اقتناع محاوره– كما يقول العواد – وطنياً ولغوياً بخطأ هذا اللقب يقول العواد عن الموقف : "

---

[١] خواطر مصرحة ، ص ٢٠٤ .
[٢] السابق ، ص٢٢١ .
[٣] السابق ، ص٢٣٥ .
[٤] ينظر السابق ، ص٢٥٠ .

وسر الرجل ، وأبصرت تقاطيع وجهه تعبر عن إحساس عجيب إزاء هـذا المنطـق ، وخيل إليَّ أنه كمن يستمع إلى عازف موسيقى لا إلى متكلم معقول "[1] .

ولعل الغريب أن العواد كان يرى في إعطاء الفرد ضمير الجماعة لقصد التهويل والتفخيم بدعة سيئة ويستدل استدلالاً غريبـاً لا يُسـلم بـه ، وهـو قولـه تعـالى : {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي } " سورة طـه ، الآيـة ٢٥٨" وكان في وسعه أن يقول " إننا نحن الله لا إله إلا نحن فاعبـدنا "[2] ، ولا أدري هـل غابت عن العواد الآيات الأخرى التي تدل على ضمير الجمع في حق الله تعالى ، ومنها قوله في سورة الحجر : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}"الحجر:آية٩ " ، وكثير من الآيات غيرها ! وهو استدلال على غرابته وعدم صحته قياس " مع الفارق " كما تقول القاعدة الأصولية .

ولست هنا أنكر على العواد ثقافته وجهده وجهاده وصوابه وإبداعه ، إلا أن المتأمل لا بد أن يربط بين هذه "الذات" الحاضرة بقوة ، وهي قوة تحاول أن تقدم عليها الـدلالات المتنوعة ، والشهادات الحية ، من خلال شهادة "الذات" لنفسها وشهادات الآخرين لها ، وإقصاء "الآخر" وسحقه وإلغائه ، وعدم الاطمئنان إلى أي من إيجابياته ! ولذا أحسب أن هذه "الذات" العوادية لا يمكن أن نطمئن إلى فصل سياق السؤال لديها ، عن الإجابة كما اقترح الدكتور عبد الله الغذامي[3] ؛ إذ إن "الذات" هنا ، تؤكد على الإجابة فقـط !

---

[1] السابق ، ص٢٥٠ .

[2] السابق ، ص٢٥٨ .

[3] العواد رائد التجديد ، ص ١٣٣ .

وهي إجابات حاسمة جازمة لا تعترف بالتنوع والاختلاف ، وربما كان هذا هو السياق الذي يمكن أن يلاحظ أثناء قراءة مشروع العواد التجديدي...

لقد كانت "الذات" تحاول أن تؤسس لذاتها مكاناً يليق بها ، حيث رأت أنها تملك مقومات الريادة والإبداع والتجديد ، فكان أسلوبها الخطابي الصارم والعنيف مع "الآخر"، تهيئة وتمهيداً لهذه الغنائية التي ترددها "الذات" من خلال استعادة شهادات الآخرين المؤيدة المعجبة تارة ومن خلال غنائيتها الذاتية الخاصة تارات أخرى .

لقد استحضرت هذه "الذات" وآخت بين التراث والحديث ، بين المقولات والآراء المتنوعة على المستوى التنظيري ، لكنها لم تستطع أن توائم بين "ذاتها" التي رأتها حقيقة بكل مدح ، جديرة بأنواع الثناء ، و"الآخر" المختلف أي كان ، الذي قست عليه هذه "الذات" حين تداخل "الشخصي بالموضوعي" ، فصنع نسقاً إقصائياً ملغياً ، عبر استحضاره لحجاب "المعاصرة والمواطنة والريادة" ، التي رأى العواد أنه أهل لأن يكون وحيداً في ميدانها الوطني ، بينما كان التاريخ الذي وعاه العواد شاهداً على أن صفحته تتسع لكل الجهود الرائعة ، وأن دوراته الزمنية كفيلة بإعطاء كل ذي حق حقه...

الخاتمة

يبدو بعد كل هذا أن العواد برؤاه التجديدية كان واقعاً بين طرفي نقيض أمام بعض قرائه الذين راحوا يكيلون له الثناء ، وآخرين ناصبوه العداء ! وأجزم أن كثيراً من الإشكالات التي أثارها العواد كانت بحاجة إلى قراءته قراءة فاحصة ؛ حتى ينجو من مغالاة " الأطراف " التي كانت تحاول أن تعبِّر عن ذاتها ورؤيتها ، بأكثر مما تعبِّر عن رؤية العواد ! وغير خافٍ أن حدة أسلوب العواد مع مناوئه قد أسهم في إيجاد هذه "التلقيات" المادحة والقادحة ، التي كان حرياً بها أن تقرأ العواد في كل جوانبه ؛ حتى تكون أحكامها أكثر قرباً من الموضوعية والعدل ... وحتى يوضع العواد في سياقه من غير إفراط أو تفريط .

لقد كانت الرحلة مع "العواد" بكل تفاصيلها ومعاناتها رحلة ثرية مثرية ! اكتشفت من خلالها حاجة بعض أحكامنا النقدية ، إلى القراءات الواعية المتأنية ، التي تجنبنا مزالق الميل وجاهزية الأحكام ! وأحسب أنني قد قدمت أنموذجا من ذلك في هذا البحث ...

وعلى الله التكلان

المراجع

- أعمال العواد الكاملة ، المجلد الأول، بدون طبعة ، جمهورية مصر العربيـــة ، دار الجيل للطباعـــــة ، ١٤٠١هـــ -١٩٨١م ، ويشمل الكتـــب الآتيةمرتبـــة حسب مجاميعها:

١ - خواطر مصرحة .

٢ - تأملات في الأدب والحياة .

٣ - من وحي الحياة العامة .

- أعمال العواد الكاملة ، المجلد الثاني ، الطبعة الأولى ، جمهورية مصر العربية ، دار الجيل للطباعة ١٤٠٣هـــ - ١٩٨٣م ، ويشمل الكتب الآتية :

٤ - مؤتمر أدباء العرب .

٥ - محرر الرقيق .

٦ - التضامن الإسلامي .

٧ - الطريق إلى موسيقى الشعر الخارجية .

٨ - مسائل اليوم ، محمد حسن العواد ، الطبعة الأولى ، جمهوريـــة مصـــر العربية ، دار الجيل للطباعة ١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨٢م .

- ديوان العواد ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـــ - ١٩٧٨م ويشـــمل دواوينه :

٩ - آماس وأحلاس .

١٠- البراعم .

١١- نحو كيان جديد .

١٢- خواطر مصرحة ، محمد حسن عواد ، جزءان ، ط الثانيـــة ، مطبعـــة المدني ، ١٣٨٠هـــ - ١٩٦١م

١٣- التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية ، عبد الله عبد الجبار ، بدون ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٥٩م .

١٤- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر ، د. عثمان الصالح العلي الصوينع جزءان ، ط الأولى ، ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٧م .

١٥- شعراء الحجاز في العصر الحديث ، عبد السلام طاهر الساسي ، راجعه وصححه على حسن العباوي ، ط الثانية ، الطائف ، نادي الطـــائف الأدبـــي ، ١٤٠٢هـــ .

١٦- الشعر الحديث في الحجاز ١٩١٦ - ١٩٤٨م ، عبد الرحيم أبو بكـــر ، الرياض ، دار المريخ ، بدون .

١٧- الشعر الحديث في المملكة العربية الســـعودية خـــلال نصـــف قـــرن (١٣٤٥هـــ - ١٣٩٥هـــ) ، د . عبد الله الحامد ، ط الأولى ، المدينة المنورة ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤٠٨هـــ - ١٩٨٨م .

١٨- العواد رائد التجديد ، محمد علي قدس ، ط الأولى ، نادي جدة الأدبـــي ، ١٤٢٨هـــ٢٠٠٧م

١٩- العواد وهؤلاء ، محمد سعيد الباعشن ، القاهرة ، دار الوزان للطباعة والنشر ، بدون .

٢٠- محمد العلي شاعراً ومفكراً (مختارات) ، الجزء الأول ، إعداد : عزيزة فتح الله ، القاهرة ، دار المريخ للنشر ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٢١- المعرض ، أو آراء شباب الحجاز في اللغة العربية ، جمع وترتيب محمد سرور الصبان ، بدون ، طبع على نفقة المكتبة الحجازية بمكة المكرمة، المطبعة العربية بمصر ، ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م .

٢٢- موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً ١٣٥٠-١٤١٠هـ ، ثلاثة أقسام ، أحمد سعيد بن سلم ، ط الأولى ، المدينة المنورة ، نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٢٣- نبت الصمت ، دراسة في الشعر السعودي المعاصر ، د . شاكر النابلسي ، ط الأولى ، بيروت ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

* الصحف والمجلات :

*مجلة علامات ، المجلد الثالث عشر ، الجزء ٥٢ ، نادي جدة الأدبي ، ربيع الآخر ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م

*جريدة المدينة ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، جدة .